صاحب دار نشر: البسطات تبيع ثلاثة أضعاف المكتبات

ألا يفقد الكتاب دوره الثقافي وقيمته الفكرية إذا عومل كسلعة والغاية منها تحقيق الفائدة المادية؟

مصعب أيوب

تعد الكتب والإنتاجات الثقافية شكلاً من أشكال الغنى الثقافي للبلدان ولعلّ المكانة الخاصة التي يحتلها الكتاب في أفئدة المثقفين والمزايا الفريدة التي يتمتع بها عن غيره من وسائل التكنولوجيا الحديثة والوسائل التعليمية المتنوعة، جعلته منهلاً ومحيطاً وافراً يستزيد من علمه الكبير والصغير ويستقي منه البديع من الكلام والساحر من المعاني، إضافة لمكانته البارزة في التراث الثقافي، وإذا ما تنقلت بنظرك في شوارع دمشق فستجد كتباً قديمة متنوعة بين السياسي والاقتصادي والعاطفي والفلسفة تأكلت أطرافها الصفراء وافترشت الرصيف في كل مكان من شوارع دمشق وشكلت مصدراً للثقافة في وقت ما.

مصادر متنوعة

مما لا شك فيه أن مكتبة الأديب هي كنزه الثمين وملاذه الآمن وفيها يجد نفسه واهتمامه وينغمر بها وبينها منها، لكن العوز الشديد والوصول إلى شفير الجوع الحقيقي يضطران المثقف للتصرف بها، فالحاجة المذلة تفرض على المثقف التخلي عن جزء من أغلى ما يملك ليسد رمق كرامته ويحفظ ماء وجهه، آلا به الحال للتخلص من مكتبته وهو ما لا يمكننا استغرابه، فالحال ذاته حدث للكاتب المصري عباس العقاد الذي باع جزءاً من مكتبته لسد حاجاته الأساسية، وغالباً ما تحدث مثل هذه الصفقات سراً إذ إن شعور الخجل يسيطر على فاعله فيعده البعض كمن يبيع روحه.

وهو ما أفادنا به تيسير أحد بائعي الكتب على الرصيف مبيناً أنه يحصل على كتبه من مصادر متعددة وأغلب ما يبيعه كتب مستعملة كانت في مكتبات منزلية اضطر أصحابها لبيعها بداعي السفر أو لضيق المكان في منازلهم أو ضيق ذات اليد، كذلك فإن ورثة بعض المثقفين لا يقيمون وزناً لهذه الكتب النفيسة ويبيعونها بسعر زهيد.

ويضيف إن الواقع الذي نعيشه عصيب والأيام مريرة وأغلبية الناس لا تملك القدرة على شراء كتاب بقيمة ١٠ آلاف ليرة سورية وربما أكثر ولكن يحاولون جاهدين اقتناء ما يبقون من الكتب بنصف أو ربع هذه المبالغ وهو ما نسعى إليه ونقوم به.

في الوقت ذاته يؤكد تيسير أن مهنته لا تحقق له الاكتفاء المادي ولكنه منغمس بها ولاسيما أنها عملت على رفع ثقافته عالياً وفسحت المجال أمامه لاكتشاف عوالم كانت غامضة وربما مجهولة بالنسبة له، وأشار إلى أنه لا يستطيع تغيير هذه المهنة التي أحبها واعتادها واكسبته حب القراءة وشغف المطالعة معتبرها وسيلة مهمة لإقناع مرتادي السوق لشراء الكتب، مبيناً أنه من دواعي سروره تعامله مع فئة الشباب واهتمامهم بالنسخ الورقية لأنه لا يجد متعة في القراءة من خلال الهاتف النقال ولكن يجد ما يطلبه بين صفحات الكتب ورائحة الورق ولمسه، ويؤكد أنه يتعامل مع مهنته كخدمة يقدمها للناس ولكن السعر الذي يوضع لكتاب ما إنما لعظم شأنه ونفاسة معلوماته وقيمتها العالية ويؤكد أنه في بعض الأحيان يتنح لبعض المتسوقين والمارة الاطلاع على كتاب ما وربما مطالعته لساعة أو ساعتين من الزمن دون مقابل، مبيناً أن هذا يخلق لديه شعوراً بالفخر والاعتزاز لتسهيل الطريق أمامهم للوصول إلى المعرفة.

باقة أزهار ثقافية

زياد من دير الزور أمتهن بيع الكتب في شارع الحلبوني وسط دمشق على مدار ١٧ سنة في وقت هجر فيه الشباب القراءة وهمشوا قيمة الكتب وتخلوا عن لذة مطالعتها، يستيقظ كل صباح لينسق كتبه بشكل هندسي وأسلوب متقن على قارعة الطريق مؤكداً أن مكتبته تحوي مالا يخطر ببال أحد من أنواع الكتب وبأسعار مدروسة وجودة ممتازة واصفاً نفسه بأنه قارئ شغوف بالمعرفة تربطه بالكتاب علاقة وثيقة، فالتنقل بين مختلف أنواع واختصاصات الكتب يشبه الدخول لحديقة مليئة بالأزهار والورود تجعلك تقف حائراً أيّاً منها تختار.

سطوة الكتاب الرقمي

بين اتساع شعبية الانترنت وانحسار القراءة يبقى باعة الكتب المنتشرون على أرصفة الطريق يقضون جل حياتهم رفقة خير جليس لا يجدون طريقاً آخر لحياتهم اليومية إلا تلك المهنة ففيها يجد أصحابها تواصلاً راقياً مع الناس.

أبو عمار بائع كتب في منطقة جسر الرئيس يشكو انخفاض عدد زبائنه ويصف الحالة الشرائية بالمعدومة وقد عزا ذلك إلى صعوبة الحال الذي وصلت إليه المنطقة والذي جعل الناس تتجه لتحصيل الضروري والأولي لحياتهم، موضحاً أن عدم إلمامه بمهنة أخرى هو ما جعله يستمر في مهنة بيع الكتب وإلا لكان اتجه لتأسيس مشروع آخر أو طرق أبواب الصناعيين وأصحاب المهن على اختلافها، وأضاف الرجل البالغ من العمر ٦٤ عاماً إن التطور الحاصل في القطاع التقني والرقمي كان له شديد الأثر في تراجع نسبة مبيعات الكتب إذ لا يجد أحدهم صعوبة في تصفح ما يحلو له من الكتب المتوافرة على شبكة الانترنت من دون عناء ولا تكلفة، ويضيف إن هذه البسطات تساهم في رفد مكتبات القراء المنزلية بالعديد من الكتب إذ إنها صديق عطوف على ذوي الدخل المحدود.

ضرورات ملحة

من جانبه يقول خلدون صاحب محل لبيع الأحذية والجلديات في منطقة فكتوريا إن محله كان في السابق مكتبة لبيع الكتب ولكن في الآونة الأخيرة اضطره الحال لتغيير مجال عمله بسبب تراجع الإقبال على شراء الكتب، ففي بعض الأحيان كان يمر يومان أو ربما ثلاثة لا يبيع كتاباً واحداً وقد استمر الحال هكذا قرابة ثلاثة أعوام إلى أن حل متجر بيع الجلديات مكان مكتبة ذات أثر عظيم في نشر الثقافة، وأضاف إنه باع جزءاً من الكتب لمكتبات أخرى مجاورة بسعر ربما أقل من تكلفة طباعتها وقد احتفظ بقسم آخر في مكتبته المنزلية الخاصة ويطالعها من وقت لآخر ويقوم باعارتها لمن يطلبها ولكن لا يبيعها فهي ثمينة بالنسبة له، مبيناً أن بائعي الرصيف يكاد يكون وضعهم أفضل بكثير من أصحاب المكتبات فهم غير مشمولين بالضرائب والرسوم ولا يدفعون أجرة كالمحال التجارية ولا يطلب منهم دفع فواتير ماء أو كهرباء.

مناشدة للتغيير

تلوث سمعي وبصري في كل مكان وفوضى كبيرة يصاحبها ازدحام بشري ضخم وصخب وضجيج هنا وهناك والكثير من المنغصات التي تجعل تصفح الكتاب والتقليب بين صفحاته ومطالعة عناوينه أمراً صعباً وبشوش المتسوق، هذا ما يزعج توفيق الذي طالب الجهات المعنية بتخصيص مكان أفضل من منطقة جسر الرئيس لعرض الكتب التي تحوي قيماً فكرية وعلمية استبدلوا مهنة بيع الكتب بمهن أخرى في محاولة بسيطة للحصول على المنفعة المادية المنشودة ومردود مالي أعلى وكان منهم (مركز الكتاب- مكتبة أبو حرب- مكتبة التنبكجي)، معبراً عن أسفه إذا أهمل أولاده من بعده هذه المهنة.

مفارقات عديدة

السيد عادل عساف صاحب دار البشائر للنشر والطباعة يتعارض مع فكرة أن هناك إحجاماً عن شراء الكتب، مبيناً أن أصحاب «البسطات» يبيعون الكتب بشكل يعادل ثلاثة أضعاف مبيعات مكتبته وبالسعر ذاته.

ونوه أن سبب ارتفاع نسبة مبيعات الكتب لدى أولئك الباعة يعود إلى عرضهم كتباً هابطة ودون المستوى أو ربما تقليد للنسخ الأصلية وأوضح عساف أن المكتبات المتزنة تبيع الكتب القيمة وذات الجودة العالية.

كما أن الوضع المادي ليس المبرر الرئيسي لتراجع بيع الكتب معللاً ذلك بانتشار الناس هنا وهناك في محال بيع المأكولات والحلويات وعزوفهم عن شراء الكتب ليقول ساخراً «شعب ما بدو يتثقف».

ومثال ذلك يقول إن بعض الموظفين في وقت سابق كانوا يقصدون مكتبته لاقتناء بعض الكتب وكانت رواتبهم متدنية ولكن يخصصون منذ البداية مبلغاً من المال لشراء ما يريدون من الكتب وتم تأتي البقية من بعد.

مكتبات عريقة كان لها باع طويل في المشهد الثقافي في سورية متواضعة وشعبية في الشكل لكنها غنية وقيمة بمضمونها ومحتواها وأغلب زوارها من المثقفين وطلاب الجامعات وربما أصحاب مناصب حكومية مهمة، قد أغلقت أبوابها مؤخراً بشكل نهائي وبعضها تحول إلى محلات لبيع المأكولات وربما إلى مكاتب حجوزات طيران وغير ذلك نتيجة تراجع أعداد المقبلين عليها وتضاؤل الحركة الشرائية ومنها مكتبة ميسلون ونوبل والزهراء.

> الوضع المادي ليس المبرر الرئيسي لتراجع بيع الكتاب بل غياب الرغبة في الثقافة

متعة خاصة

أحد المتسوقين ويدعى ماهر يقول إنه يجد ما يريد لدى باعة الأرصفة وما لا يجده يطلبه من البائع ويعود بعد عدة أيام ليكون قد أحضره له، مبيناً أن السعر مقبول ولكن ينبغي أن يكون أقل من ذلك، مشيراً إلى أنه يفضل شراء الكتاب من هذه البسطات حيث إنه موظف وراتبه منخفض بعض الشيء ولكن ذلك لا يمنعه من اقتناء الكتب بشكل دوري وتصفحها والغوص في بحورها وهو يجد المتعة في قراءة الكتب المستعملة التي لامستها أياد كثيرة قبله فقيمة الكتاب تأتي من عدد المهتمين به.

تكلفة عالية

وأما عن سعر بعض الروايات والكتب المرتفع حسب ما يصف البعض فيقول أحد أصحاب دور النشر أن سببه ارتفاع سعر الورق وتكاليف الطباعة ولاسيما في ظل انقطاع التيار الكهربائي لفترات طويلة، وهو الأمر الذي يضطر البعض للاستعانة بالمعدات التي تحتاج للوقود ذي السعر المرتفع وفي كثير من الأحيان غير متوافر، مبيناً أنه رغم ذلك كله في أحيان كثيرة تباع الكتب بأقل من تكلفتها، ويضيف إنه ورث هذه المهنة عن والده واستمر فيها وأولاها اهتماماً كبيراً على حين أن الكثير من جيرانه استبدلوا مهنة بيع الكتب بمهن أخرى في محاولة بسيطة للحصول على المنفعة المادية المنشودة ومردود مالي أعلى وكان منهم (مركز الكتاب- مكتبة أبو حرب- مكتبة التنبكجي)، معبراً عن أسفه إذا أهمل أولاده من بعده هذه المهنة.

من منبج إلى أرجاء سورية وصولاً إلى موريتانيا كانت قضايا التحرر الوطني هاجسه الأول

عصام حتيتو... الفن والمعيار

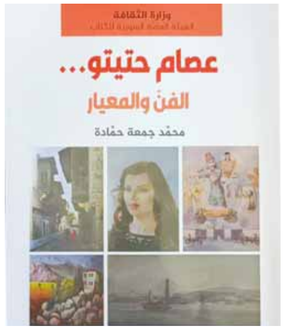

مايا سلامي

صدر عن وزارة الثقافة- الهيئة العامة للكتاب دراسة بعنوان «عصام حتيتو.. الفن والمعيار»، تأليف محمد جمعة حمادة، تقع في ١٨٤ صفحة من القطع الكبير، وتسلط هذه الدراسة الضوء على حياة الفنان عصام وبيئته وأعماله، مصغية بمجموع معارفه وخبراته ملتمسة ظلالاً من كشوف ورؤى، مستجيبة لدعوات وإيحاءات.

ويتألف هذا الكتاب من مقدمة وسبعة فصول، كان الفصل الأول تحت عنوان «أسئلة الفن والحياة»، حيث عرض جولة في عالم الفن التشكيلي وتحدث عن كثير من الفنانين التشكيليين العالميين وتساءل عن تعريف الفن. والفصل الثاني «الحقيقة والفن»، يتناول التحديات التي تواجه الثقافة العربية في العصر الحديث، والفراغات الثقافية في الأمة العربية ثم تجربة الغربة لدى الفنان عصام حتيتو وطرح التساؤل عن الثقافة ودورها في مواجهة الأزمة السورية. الفصل الثالث «محطات مبعثرة»، فيه عرض لبعض الصور من حياة عصام حتيتو وتجربة الدراسة في أكاديمية الفنون الجميلة في لينيغراد بالإضافة إلى الحديث عن بعض الفنانين التشكيليين الروس ثم عودة عصام إلى سورية والتدريس في المعاهد الفنية. الفصل الرابع «بهجة الحياة الفن»، حيث الحديث عن بداية دراسة الفنان عصام حتيتو في بلدته منبج ثم الانتقال إلى حلب وتعرفه إلى كبار الفنانين التشكيليين والحديث عن فنه وانطلاقته الفنية في الفن التشكيلي تعبيراً عن حالاته النفسية واتجاهاته في رسوماته للتعبير عن قضايا التحرر الوطني. الفصل الخامس «الآن هنا ذاكرة المكان»، الذي يعرض شاكر الشيشان والشركس وهجرتهم من بلادهم وتوزع سكناهم في سورية ثم ذكر المدن التي عاش فيها حتيتو ابتداء من منبج وصولاً إلى موريتانيا وأثر ذلك في رسوماته. الفصل السادس «من كروم الجمال»، فيه استعراض عشر لوحات من رسومات عصام وتحليلها. أما الفصل السابع «وجهاً لوجه مع عصام حتيتو» فيتناول حواراً مع الفنان حتيتو حول الحياة والسياسة والثقافة والأساطير والحرب والفن التشكيلي والذاكرة والمرأة والمدارس التشكيلية والهوية الفنية الخاصة.

> حوّل بإبداعه حاملة مشعل الحرية إلى مصاصة دماء بعد عدوان الخامس من حزيران

فن جميل

وفي البداية يتحدث الكاتب عن الرسم عموماً بوصفه فناً جميلاً يقودنا إلى الرسوم الحكومية الخاصة بتحصيلها مثل الضرائب والجمارك والعبور والمرور في الطرق، دون محاولة الهروب منها أو الإخلال بحق الرسوم، أي رسوم بالرفرفة فوق رايات الأوطان والسفن والسجون وسيارات ذي الشأن.

ويبين أن الرسم في علم المنطق هو تعريف الشيء بخصائصه ويطلق أيضاً على تمثيل شيء أو شخص أو موقع جغرافي أو موقعة تاريخية، والرسم في واحد من حالاته المتعددة يعني الأثر الباقي من الأحقاب الماضية أي بعد أن غفت وانتهت عهودها.

ويكشف أن اللوحة المسندية قدمت نفسها من جهة التصور الجمالي على أنها الصورة الصالحة عملاً بقول ليوناردو دافينشي إذ يشدد بأن التصوير هو مثل أي شيء آخر شأن أو قضية عقلية، وهو ما يتابعه الدارس في مراجعة مجهودات الفنانين التشكيليين المتتابعة والمتراكمة منذ القرن السادس عشر التي قامت على تصوير دقيق صحيح بالمعنيين الوصفي والتعبيري للمشهد الطبيعي أو الهيئة الإنسانية.

محطات مختلفة

ويستعرض محمد جمعة في دراسته محطات مختلفة من حياة الفنان عصام بدءاً من طفولته التي انقدت فيها شرارة فنه الأولى وقد ورد ذلك عن لسان حتيتو، فيذكر: «كنت في الخامسة من عمري فأخذت أعبث بكتب ودفاتر الأولاد الغائبين وفجأة لفت انتباهي رسم يصوّر الشكل المشابه للإنسان، وهو عبارة عن دائرة فيها نقاط تعبر عن العيون والأنف والفم وخط يمثل الرقبة وخط الكتفين، ولكنني رأيت فيه شيئاً جميلاً ومن يومها أصبحت أمارس الخربشة بالقلم. ولم أكن أدري أن هذا اليوم كان انطلاق الشرارة الأولى لموهبتي وتعلقي بالرسم».

كما يتحدث هنا عن تأثر فنه بعدوان الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ عندما نفذ لوحة استخدم فيها تمثال الحرية الأميركية، محولاً المرأة حاملة مشعل الحرية إلى مصاصة دماء ذات فم مفتوح وناببن معقوفين تحمل بيدها قذيفة واليد الأخرى تمتد إلى كتفها الذي يجلس عليه بوم مشؤوم على صدره نجمة داوود في إشارة ورمز إلى الشراكة في العدوان بين أميركا وإسرائيل، وقد نالت هذه اللوحة إعجاب الآخرين وتطور الحال معه فأصبح يسعى وراء الرسم والفن ويطالع كتباً فنية لكبار فناني عصر النهضة والانطباعيين وكل مرجع يجده حتى بلغ مرحلة جيدة في مهارة الرسم واللون.

لقاء مع عصام

ويورد الكاتب في دراسته لقاء جمعه مع الفنان عصام حتيتو وصف خلاله رحلته إلى عالم الفن التشكيلي، قائلاً: «طريق في عوالم الجمال والإبهار ملؤه الصعاب والشقاء والعذاب، ولكن يبقى عذاباً وشقاءً ممتعاً وجذاباً رغم صعوبته لأنه في النهاية عندما يحقق الإنسان أهداف موهبته في بلورتها ووصولها إلى ساحة الفن ببصمته وتميزه يكون قد نسي كل الأهوال وعاش ضمن مفهوم الفن متعة وهذا شعاري طوال رحلتي مع الفن».

وذكر عصام أسماء الذين ساندوه وقدموا له خلاصة تجاربهم الروحية أو الثقافية والاجتماعية: «قبل دراستي في الأكاديمية الاسم الوحيد الذي وقف إلى جانبي وقدم لي المراجع والكتب الفنية والنصائح هو الفنان غياث الناصر من خلال فتح مرسمه ومكتبته الفنية وأما في روسيا فكانت هناك كل معاني الفائدة التي حصلت عليها من الأكاديمية وعدد كبير من الأساتذة والمناخ العظيمة والاحتكاك بالطلاب وفهم عميق للمدرسة الروسية كل هذا كان وراء وصولي إلى ما وصلت إليه».

برجك اليوم 09/24

نجلاء قباني

الحمل

تكره التنازل وتكره أن يرى أحد المحيطين بك ضعفك وقد تضايقك مسؤولياتك الاجتماعية والمهنية فاليوم قد يجعلك تقع في بعض الضغوطات المهنية أو الارتباكات المفاجئة أو الظروف الطارئة.

عاطفياً: أمورك العاطفية متعبة فلا تتململ من مسؤولياتك ولا تفقد الثقة بنفسك وابتعد عن اليأس ولا تضع علاقة دائمة وهادئة في سبيل علاقات عابرة.

الثور

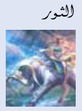

إذا أطلقت طاقة إيجابية ستجذب مزيداً منها فتسعد مع من يريدون لك الخير حقاً وهذا الذي يجعل الحياة أبهج وأجمل وهو يوم جميل للحب والتأثير في من حولك.

عاطفياً: اليوم جيد حتى للارتباط لو كان وضعك جاهزاً فأنت تسعى لترتيب حياتك.

الجوزاء

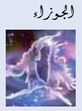

أنت تمتلك الجرأة والحماس وهو وقت مناسب لتقترب ممن تحب ولتشعر بالاطمئنان بسبب فرضك لإرادتك وشروطك وقبول الآخرين لآرائك ومساعدتهم لك في مشاريعك الجديدة.

عاطفياً: قد تفرح فيه لسعادة ترفرف على أحد الأشقاء أو الأهل أو الأبناء ولتفرح مع من حولك.

السرطان

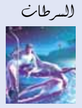

إذا تعارضت وجهة نظرك مع وجهة نظر العائلة أو أحد الأبناء فاسمعه جيداً ولا تجعل الأمور تصل إلى الخلاف وقد تقلقك الخيارات العائلية أو الشخصية.

عاطفياً: أمورك العاطفية متعبة فابتعد عن إحساسك بأنك غير كفء وانتبه إلى أمورك العاطفية والشخصية.. فهي قد تحمل لك التبدل أو التحول أو إحساسك بأنك تريد التغيير.

الأسد

قد تصل إلى آخر النهار خائر القوى وبمزاج لا يسمح بالسهر أو بالزيارات بل تود الراحة أو النوم وقد تتعرض لوجع في المعدة نتيجة ريجيم تتبعه أو طعام تأكله.

عاطفياً: قد تفرح لوجود أشخاص موجودين حولك يساعدونك ويمنحونك الكثير من المحبة والتشجيع.

العذراء

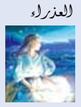

ربما تتلقى عرضاً مهماً أو توقع عقداً فأنت هذه الفترة تستعيد مكانتك وتتلقى دعماً وتقرر تغيير المناخ على الصعيد الاجتماعي أو على صعيد الأعمال فأنت إيجابي.

عاطفياً: تشعر بأنك قريب ممن تحب وهذا يجعلك تشعر بالرضا أضعاف ما تشعر به لو لم تكن قريباً من أحد.

الميزان

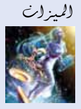

أنصحك أن تقترب من الآخرين أو تصارحهم بما يضايقك من مخاوف وشكوك فأنت اليوم تفكر بتسوية لأمر مهم كان معلقا من فترة على الصعيد الشخصي.

عاطفياً: أمورك العاطفية متعبة فانفض غبار قلبك وأزل الغشاوة عن بصيرتك وخاصة أنك شكاك وعصبي وقد تشعر أنك غير محبوب من الطرف الآخر.

العقرب

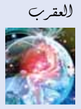

الأمور الأسرية والعائلية هي ما يشغلك وقد تفكر بزيارات لأقارب أو لأصدقاء أنت تحبهم وقد يصلك اليوم خبر سار يزيح عن كاهلك هماً أزعجك لفترة وربما هو في الجانب المالي.

عاطفياً: اسمح للفرح الذي يسكن داخلك أن يخرج ويسعدك ويسعد من حولك.

القوس

الأمور المالية تحمل القلق ولن يكون جمعها سهلاً وقد تؤجل بعض المواعيد المالية أو ملأ توقعت أن يأتيك وقد يتأخر أو تتضايق من مستلزمات طارئة لا تجدها ضرورية.

عاطفياً: كوكب الحب ينتقل في موقع جيد لتحب ولتشعر أنك محبوب فقدم المحبة لمن حولك.

الجدي

اتكل على حدسك لأنه سليم وربما تفكر بتغيير طريقة حياتك أو شكل فاليوم للطاقة وقد تفكر بمشاريع تنجزها فأنت مرتاح ومتفائل وربما تعاني تغيرات أو قلة نوم.

عاطفياً: استفد من كل اللقاءات والعلاقات والتعارف الجديد الذي يزين حياتك.

الدلو

أنت متعب وقد يكون السبب شخصاً يظهر في حياتك من غياب الماضي ليجدد عهوده فاليوم يجعلك حذراً محتاراً فحاول أن تخفّف من صراحتك الجارحة أحياناً وأحكامك القاطعة. عاطفياً: أمورك العاطفية متعبة فأنت تحب العائلة وتحب محيطك الشخصي لكن مزاجك أو عصبيتك قد يجعلانك متوتراً أحياناً وعصبياً أكثر الأحيان.

الحوت

موجة من السعادة تجتاح حياتك كارتباط أو سفر أو خطبة أو فرح لأحد الأشقاء أو الأصدقاء فأنت مزدهر بالصداقات ومحور اهتمامات محيطك الشخصي والعائلي.

عاطفياً: اليوم قد تفكر في ارتباط أو تحصل على علاقة منطقية أو ترتب وضع علاقة جميلة موجودة في حياتك.